جامعة وهران 2 محمد بن احمد

كلية العلوم الاجتماعية

قسم علم الاجتماع

مذكرة التخرج لنيل شهادة ماستر تخصص: انثروبولوجيا حضرية

الطرق الصوفية أثرها على المجتمع

دراسة ميدانية (الزاوية العلوية – معسكر -)

إعداد الطالب: حري مختار

اشراف الأستاذ: توفيق مالك شليح

أعضاء لجنة المناقشة

بومحراث بلخير	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
مالك توفيق شليج	أستاذ محاضر أ	مشرفا و مقررا
محمودي أممية شريفة	أستاذ محاضر ب	مناقشا

السنة الجامعية: 2019- 2020

كلمة شكر

يقال " قم للمعلم وفه التبجيلا...كاد المعلم ان يكون رسولا "

ها أنا اليوم اقف وقفة شكر و اجلال و امتنان لاساتذتي الكرام السيد بومحراث بلخير و السيدة محمودي اميمة و السيد الأستاذ لقجع عبد القادر و اخص بالذكر الأستاذ و الأخ السيد مليك توفيق شليح له كل الفضل في عملنا هذا . اساتذتنا الذين نفعونا بنصائحم القيمة و ارشاداتهم النيرة .

اشكركم بكل فخر و اعتزاز

الاهداء

أحمد الله عز وجل على منه و عونه لإتمام هذا البحث .إلى الذي وهبني كل ما يملك حتى أحقق له آماله، إلى من كان يدفعني قدما نحو الأمام لنيل المبتغى، إلى الذي سهر على تعليمي بتضحيات جسام مترجمة في تقديسه للعلم، إلى مدرستي الأولى في الحياة، أبي الغالي على قلبي أطال الله في عمره؛ إلى التي وهبت فلذة كبدها كل العطاء و الحنان، إلى التي صبرت على كل شيء، التي رعتني حق الرّعاية ، و كانت دعواها لي بالتوفيق، تتبعتني خطوة خطوة في عملي، إلى من إرتحت كلما تذكرت إبتسامتها في وجهي نبع الحنان أمي

الى زوجتي العزيزة التي طالما كانت سندي و نور دربي في الشدائد و المحن .

الفهرس

الفهرس

الصفحة

- كلمة شكر
- إهداء
- المقدمة:..... 01

الفصل الأول: الإطار المنهجي للدراسة

1- التعريف بالموضوع 04
2- إشكالية البحث 06
3- الفرضيات 06
4- أسباب ودوافع اختيار الموضوع 07
5- أهداف البحث 08
6- ضبط المفاهيم 09
7- مجال الدراسة 09
8-المنهجية المتبعة 12
8. 1- المنهج المتبع في الدراسة 13
8. 2- التقنيات المستعملة في الدراسة 12
8. 3- مجتمع البحث.....14
9- صعوبات البحث 14

الفصل الثاني : الطرق الصوفية في الجزائر

1-الأصول التاريخية لظاهرة الطرفية في الجزائر 17
1.1- التصوف والطرقية في الجزائر 18
2- النظام التراتبي للطرق الصوفية 20
1.2- الشروط والمواصفات المطلوبة في الشيخ 23
3- العلاقة بين الشيخ والمريد 24
4- الأساس المعرفي للتربية الصوفية 25
5- وظائف الزوايا في الجزائر 26

الفصل الثالث : دراسة ميدانية للطريقة الصوفية في ولاية معسكر

الزاوية العلوية – نموذجا –

- المحور الأول علاقة التصوف بالمريد وكيفية تأثيره (المتصوف) عليه.

1-علاقة التصوف بالمريدين 30
1.1- تأثير التصوف على سلوكات الأفراد 31
2.1- الانضمام إلى الزاوية 32
2- العلاقات داخل الزاوية 34
2-النظام التراتبي للمريدين.....36

- المحور الثاني: ممارسة التصوف في الزاوية العلوية

1- التعريف بزاوية الطريقة العلوية 41

2- رؤساء الطريقة العلوية 42

3- الممارسات التعبدية للطريقة ودلالتها التربوية 43

1.3- مؤسسة الزاوية مجال لعيش التجربة الصوفية 43

2.3 - وظيفة ودلالة الجمع الأسبوعي 43

3.3 - وظيفة السماع 46

- الخاتمة العامة.....48

المراجع .....2.....

الملاحق .....

مقدمة عامة

رغم كل ما كتب عن تاريخ الجزائر الحديثة والمعاصرة، إلا أنه هناك بعض المواضيع التي لا تزال في حاجة إلى دراسة علمية اتثروبولوجية أكاديمية دقيقة في آن واحد، كالمواضيع ذات الطابع الثقافي الديني وخاصة مسألة الظاهرة الدينية لما لها من نفوذ روحي من جهة وتأثير اجتماعي من جهة أخرى.

فالدين كظاهرة اجتماعية يدخل في علاقة تفاعلية مع الوحدات الاجتماعية الأخرى المكونة للمجتمع. نجد المفكر السوسيولوجي **إميل دور كايم** يعرف الدين على أنه " نظام متضامن من المعتقدات والممارسات الخاصة بأشياء مقدسة أي منفصلة وممنوعة وبالتالي فإن الدين هو عبارة عن مجموعة من القيم لها صفة الاعتقاد من قبل المجتمع أي أنه شيء اجتماعيune chose sociale " [1] . معنى ذلك أن ما يميز الدين هو أنه عبارة عن مؤسسة اجتماعية دات بعد انثروبولوجي، بحيث تأتي الصوفية كظاهرة اجتماعية دينية وحضارية في العالم الإسلامي عامة والجزائر خاصة كونها لا تزال كمرجعية لعدد كبير من الجزائريين الذين يؤمنون بها ويعتقدون في شيوخها العلم والصلح بحيث يجب دراستها والتعمق فيها، حيث يقول **محمد أركون:** " **قبل أن نتحدث عن الإسلام نتحدث عن التصوف**" [2] . فهو " **التصوف**" يعتبر حركة دينية ومظهر من مظاهر الإسلام، انتشر نتيجة عدة معطيات وتغيرات مست المجتمعات الإسلامية، فكان كنزعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة ورد فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرقا مميزة معروفة باسم **الطرق الصوفية.**

[1] Durkheim Emile (1912-1960) les formes élémentaires de la vie religieuse, presse universitaire de France 2 émé édition quadrige 1990, page 13.

[2] أركون محمد، الفكر الإسلامي، نقد واجتهاد، دار الساقي طبعة أولى، سنة 1992، ص 157.

وبهذا فإن التغيرات التي عرفتها الجزائر منذ تحولات 1988 حتى يومنا هذا في مجالات متعددة منها اجتماعية، سياسية ودينية جعلها تعرف تغيرات في عودة اهتمامها بالزوايا بقوة إلى الواجهة بعد تهميش وصراع وفشل الحركات السلفية في قيادة المجتمعات الإسلامية.

حيث عرفت الزوايا مجرى جديد في تشكيلها للبنية الاجتماعية وممارستها السلوكية و بعدها الانثروبولوجي.

حيث أن هذه الأخيرة كانت محكومة بظروف أو جب على الطبقة الحاكمة تغيير النظرة السياسية التي شوهت صورة هذه البنية الدينية وتحولها وانتشار طرقها المتعددة وبدئ انهيار تلك الصورة القائمة التي كانت تقدم لنا حول هذا التيار الفكري، حيث يقوم المستشرق الفرنسي المسلم **إريك جيوفروي** " **أن المستقبل في العالم الإسلامي سيكون حتما التيار الصوفي**" [1]

كما نلاحظ أن الصوفية قد مارسوا السياسة في أحيان كثيرة مارسوا أدوارا ثقافية واجتماعية بحيث نلمس مد جديد من الأجيال التي تسعى الأبعاد الاجتماعية الصوفية.

من خلال هذه المعطيات والمنطلقات أردنا الخوض في هذا الموضوع حيث سيقتصر حديثا على الجزائر فقط دون غيرها من الدول العالم الإسلامي على أن تكون ولاية معسكر هي نموذج لدراستنا الميدانية وذلك من خلال دراسة طريقة من الطرق الصوفية وهي الطريقة العلوية.

نحاول من خلال هذه الدراسة وعلى ضوء مجموعة من المفاهيم بحث جانب مهم من جوانب الطرق الصوفية والمتعلق بمحاولة معرفة إلى أي مدى استطاعت الطرق الصوفية في تجسيد معطياتها وتشكيلها لجماعة منسقة ومدى تمكن الطريقة العلوية خاصة من خلق نسق منظم داخل هذا المجتمع، دون الابتعاد عن ما هو نظري ومنهجي وميداني.

[1] عبد المنعم القاسمي الحسني، عن التصوف والصوفية في الجزائر (الشهاب الثقافي)

فدراستنا تطلبت منا تقسيم بحثنا إلى ثلاث أقسام، القسم الأول متعلق بالفصل التمهيدي والذي يتضمن التعريف بالموضوع، إشكالية البحث، الفرضيات، دوافع اختيار الموضوع وأهدافه، ذكر الإطار المنهجي المفاهيم، الإطار الزمني والمكاني للدراسة، النظرية والمنهج المتبع، التقنيات المستعملة، مجتمع البحث ، صعوبات البحث.

أما القسم الثاني فهو يتضمن الفصل فيحتوي على الجانب النظري للدراسة والمتعلق بالطرق الصوفية، العلاقة بين الشيخ والمريد، الأساس المعرفي للتربية الصوفية، وظائف الزوايا في الجزائر.

أما القسم الثالث يتضمن الجانب العلمي للدراسة ويحتوي على فصلين، الأول يتم فيه تأويل المقابلات وتحليلها على الشكل الآتي: جزء يتضمن علاقة التصوف بالمريد وكيفية تأثير **(التصوف)** عليه والجزء الثاني يظم الانضمام إلى الزاوية، الجزء الثالث النظام التراتبي.

كما يظم هذا القسم جانب ميداني للطريقة العلوية (ممارسات التصوف في الطريقة).

وفي الأخير يجمع بحثنا بخاتمة عامة تدعو لاستئناف الدراسة بغية التعمق أو النقد أكثر مما تدعوا إلى القبول.

الفصل الأول

الإطار المنهجي للدراسة

أردنا في هذا الفصل معالجة عناصر منهجية وتقنية وذلك من خلال التعريف بالموضوع المراد دراسته وتحديد مشكلته، متبعة مباشرة بفرضية البحث وضبط دوافع اختياره الذاتية والموضوعية وأهدافه.

كما يقوم هذا الفصل كذلك برسم الإطار المنهجي المفاهيمي والزماني والمكاني للدراسة وذكر الإطار النظري والمنهج المتبع والتقنيات المستعملة ومجتمع البحث.

وفي الأخير ذكرنا صعوبات البحث التي واجهتنا.

يدور بحثنا حول الطرق الصوفية في معسكر، إذ تعتبر هذه الأخيرة (الطرق الصوفية) من المواضيع الهامة التي تأخذ حيز من النقاشات والدراسات العلمية، خصوصا في قوة تأثيرها على الفرد.

الإشكالية

بعد التحولات التي عرفتها الجزائر وفشل الحركات السلفية في قيادتها للمجتمع، جعل الطرق الصوفية " المدرسة العلوية" إلى جانب كونها مرجع ديني يسعى لتحقيق أغراض دينية محضة تحمل في طياتها منتهج تربوية، تعليمية، تثقيفية بالإضافة إلى معالجتها لمشاكل اجتماعية، اقتصادية، إلا أنها ارتقت إلى أمور أكثر من سابقاتها، حيث استطاعت أن تندرج ضمن المجتمع المدني الأكبر وتشكل لنفسها مجتمع مصغر له تراتبية داخلية جعلت الفرد يجد نفسه ضمن منظومة صوفية لها طقوسها كدخولها تحت غطاء سلطوي إيديولوجي تعاوني مشترك فيما بينهما على حساب شرائح اجتماعية مختلفة.

إلى أي مدى استطاعت الطرق الصوفية من تجسيد معطياتها داخل المجتمع المعسكري وتشكيلها ضمن جماعات كلية؟ وهل الطريقة العلوية تمكنت من خلق نسق منظم داخل هذا المجتمع؟

الفرضيات

1- ارتقت الطرق الصوفية لتشكل إطارا تسييريا مؤسساتيا بالرغم من حفاظها على الطابع التقليدي، مع إصرارها المستمر في مواكبة العصر.

2- مؤسسة الزاوية هي مجال الممارسة، للتعاليم الصوفية للطريقة.

اسباب ودوافع اختيار الموضوع:

تذكر المنهجية المتضمنة للبحوث العلمية الميدانية في علم الاجتماع وعلم الانثروبولوجيا على وجه الخصوص طائفة من العوامل التي تجعل الباحث يختار موضوع بحثه ويفضله على باقي البحوث التي تخطر بباله أو تقترح عليه.

وانا كطالب دفعتني جملة من الأسباب إلى اختيار هذا الموضوع وهي:

- البحث العلمي وإعداد مذكرة شهادة ماستر
- معرفة التجربة الصوفية في الجزائر على بساط البحث العلمي
- ملاحظة الظاهرة في الواقع اليومي مما زاد فينا دافع الاكتشاف والمعرفة العلمية
- معرفة أساليب ومناهج وتعاليم الطريقة العلوية.

أهداف البحث: إن وراء كل باحث هدف أساسي يسعى إليه، ومنه فإن دراستنا تهدف إلى:

- كشف التراث الصوفي ومدى قوة وإبراز الطرق الصوفية داخل المجتمع الجزائري عامة والمجتمع المعسكري خاصة.
- إبراز قيمة الزاوية كمجال عيش التجربة الصوفية.
- معرفة مدى تأثير هذه المؤسسة (الزاوية) في التنشئة الاجتماعية للفرد.

ضبط المفاهيم :

قبل أن نبدأ في تفصيل عملنا هذا نشير إلى أن هناك آلاف التعاريف حول التصوف، تحمل كلها أبعاد عميقة تدل على انفتاح التجربة، الروحية على مستوى المفهوم والممارسة، إلا أننا لم نأخذ سوى الجانب اللغوي والاصطلاحي للمفاهيم وذلك لإبراز معنى البحث الذي نحن بصدد دراسته.

1- **معنى الطريقة في التصوف:** هي السيرة الخالصة بالسالكين من قطع المنازل والترقي في المقامات والحقيقة هي أن الطريقة أو الطريق ليست إلا منهج حياة روحية يمكن التوصل به بصحيح النية في تقديم المجاهدات والرياضات النفسية إلى معرفة الله عز وجل معرفة صحيحة.

وتعني الانتساب إلى شيخ يزعم لنفسه الترقي في ميادين التصوف والوصول إلى رتبة الشيخ المربي ويدعي لنفسه رتبة صوفية من مراتب الأولياء، نذكر **الإمام الغزالي** " **إن الطريقة طهارتها وهي أول شروطها تطهير القلب بالكلمة عما سوى الله تعالى، ومفتاحها الجاري منها مجرى التحريم من الصلاة استغراق القلب بالكلمة بذكر الله وآخرها الفناء بالكلمة في**

الله وهو آخرها بالإضافة إلى ما لا يكاد يدخل تحت الاختبار والكسب من أوائلها وهي التحقيق أو الطريق" [1]

- يعرف **ماسينيون** الصوفية: " **بأنهم قوم أرادوا أن يفهموا كيفية وصول التبدل في أحوال الإدارة ويستندون على ذلك بالأحاديث والآيات"** [2]

2- **التصوف: لغة:** لقد اختلفت التعاريف وتباينت المفاهيم اللغوية للكلمة بحيث لم يتفق الكتاب من المتصوفة في تحديد الأصل الذي يمكن إرجاع اشتقاق لفظ التصوف ومن أبرز ما ذكر:

أ- **الصفة:** سمو إلى أهل الصفة وكان لقبا أعطى لبعض فقراء المسلمين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ممن لم تكن لهم بيوت يؤون إليها.

ب- **الصفاء:** معناه أن الصوفية صافية من الشرور وشهوات الدنيا وهذا الانتقاء غير صحيح لغويا، فبالنسبة إلى الصفاء يعني صفوي فيعرف **أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي** التصوف في كتابة "التصوف لمذهب أهل التصرف" " إنما سميت الصوفية لصفاء أسرارها ونقاء أثارها" [3] وقد جاء تعريف التصوف في قاموس كفارة الإسلام أن "التصرف أصل الكلمة بالعربية مشتقة من الصوف" [4] .

وهناك من يرجعها إلى صوفة أي الذين كانوا يجيزون بالحجاز في الجاهلية وكان الغوث * بن طنجة مواظبا على عبادة الله تعالى. فانتسبت له المتصوفة فقاسمهم معه طريقة العبادة والمثابرة.

---

[1] قاسم غني، تاريخ التصوف في الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، سنة 1970، ص 812.
[2] د. الحنفي عبد المنعم، الموسوعة الصوفية، مكتبة مدبولي القاهرة، سنة 2003م – 1424 هـ، ص 504
[3] سعيد جاب الحيز، تجديد الخطاب الديني والروحي والاجتماعي والتأثير الصوفي في الفنون الشعبية الجزائرية
Org/nous phop ?go = fullnews 8 newid 21/10/2007 www.jadal
[4] Thoraval.y, dictionnaire de civilianisation musulman, la rousse, pour édition original 1983 page 251.

اصطلاحا: أطلق هذا المصطلح قبل نهاية القرن 02 هـ ويعد أبو هاشم الكوني أول من أطلق عليه وهناك أسماء موازية للتصوف وهي الغرباء – السياج.

فلا يمكن حصر التصوف الذي عرفته الثقافة العربية الإسلامية في تعريف شامل جامع الأن الصوفيين عرفوا التصوف من خلال مجاهداتهم وأحوالهم التي أحسوها، فكان في البداية إشعاعا نفسيا خالصا يصدر عن نفوس طاهرة يمتلكها الشوق للكمال الروحي فقال الجنيد: " التصوف هو تصفية القلوب من مرافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبيعية وإخماد الصفات البشرية ومجانية الدواعي النفسية ومنازلة الصفات الروحانية والمتعلق بالعلوم واستعمال ما هو أولى على الأبدية والنصح لجميع الأمة والوفاء الله على الحقيقة واتباع الرسول صلي الله عليه وسلم في التربية ".

3- **الزاوية:** عرفت الزاوية في أوائل القرن 08 هـ، وكان تطلق على مكان معد للعبادة كالمسجد وتشتمل على مرافق للطلبة المحاربين بها وإيوائها للواردين عليها.

ثم عرفت الزاوية بعد ذلك بأنها مؤسسة لرؤساء الطرق الصوفية، يجتمع فيها مريدو هم لذكر الأوراد. كما أنها تتخذ مأوى لطلبة القرآن والعلم. وعرفها يحي بو عزيز " أنها عبارة عن مجتمعات من البيوت والمنازل مختلفة الأشكال والأحجام تشتمل على بيوت للصلاة كالمساجد وغرف لتحفيظ القرآن وتعاليم العلوم الشرعية" [1]

وتسمى الزاوية في الشرق " خانقاه" وهو لفظ أعجمي وقيل في تعريفه الزاوية المغربية أنها مدرسة دينية [2] والزاوية بالمعنى الصوفي هي خلوة للعبادة.

[1] بو عزيز يحى، مع تاريخ الجزائري الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، بدون طبعة، ص 127.
[2] سعد الله أبو قاسم، تاريخ الجزائر الثقافي دار الغرب الاسلامي، ج4، (1830- 1954)، ص 118.

وبالتالي تعتبر مؤسسة دينية حيث أن هذه الأخيرة تشمل نسق المعايير والأدوار الاجتماعية المنظمة التي تواجه الحاجة الدائمة إلى الإجابة عن الأسئلة النهائية المتصلة بهدف الحياة وبمعنى الموت.

4- **المريد:** هو الذي صح له ابتداء أو حصل على جملة المنقطعين إلى الله تعالى، أو هو سالك الطريق الذي سير في الطريقة حسب إرشادات شيخه، فيسلك كما يرسمه شيخه حتى يصل إلى غايته.

وبالتالي هو كأساس للممارسة الصوفية، وهو الذي أصبح داخلا في الطريقة ولكنه لا يزال في بداية الطريق إلى الله.

وإذا تقدم المريد في ممارسات الطريقة وتعاليمها يصبح فقيرا بالمعنى الصوفي للكلمة ولكن إذا ازداد قربا من الله تعالى أصبح سالكا. وبالتالي هو الماشي في طريق الله أي الذي وجد طريق الحق وأخذ يسير فيه.

والمريد هو الجرد عن الإرادة قال الشيخ **محي الدين بن العربي** "**المريد من انقطع إلى الله عن نظر واستبصار وتجرد عن إرادته إذا علم أنه ما يقع في الوجود إلا ما يريده غيره، فيمحوا إرادته فلا يريد ما يريده الحق**" [1]

3- مجال الدراسة الميدانية:

أ- الإطار المكاني: لقد كانت دراستنا الميدانية بالزاوية العلوية بمدينة معسكر الموجودة قرب جامع الإصلاح بحي سيدي بوسكرين.

[1] عامر النجار ، الطرق الصوفية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص 35.

ب- الإطار الزماني: استغرقت دراستنا حوالي3 أشهر من نهاية شهر يناير حتى مارس أخذنا حوالي شهر وذلك لإجرائنا مرحلة جمع المعلومات المتعلقة بعدد الزوايا الموجودة في ولاية معسكر ومدينة معسكر، وذلك من خلال ذهابنا إلى مقر الولاية (الشؤون الدينية). بعد ذلك أجرينا مرحلة الملاحظة على الزوايا الموجودة داخل المدينة فقط. الأشهر الباقية حضرنا فيها الجمع الأسبوعي عند المريدين يوم الخميس من 02 حتى 03:30 في الزاوية العلوية.

أجرينا المقالات، وقد استغرقت كل مقابلة حوالي ساعة ونصف وتمت داخل الزاوية العلوية وكانت معظمها صباحا ما بين 08:30 إلى غاية 12:30 حتى 01:00.

4-المنهجية المتبعة:

- الإطار النظري: إن كل بحث علمي يتطلب نظرية تقوم عليها، ولهذا فدراستنا تندرج ضمن النظرية البنائية الوظيفية التي تعتمد في تحليلها على مفهومين هما البناء ومفهوم الوظيفة واستخدم الوظيفيون أيضا مفهوما ثالث وهو النسق الاجتماعي فهي كنظرية سوسيولوجية تعالج الكثير من المشكلات الموجودة في المجتمع. أول ظهرت به كمنهجية ونظرية متميزة لدراسة المجتمع في أعمال سبنسر، كونت ودور كايم، وفي التحليلات الأنتروبولوجيا ظهرت في أواخر القرن 18 وبداية القرن 20 في أعمال مالينوفسكي B.Malinowski وراد كليف براون. Radcliffe Brown وايفانر بريتشارد E.pritcharad، غير أن دور كايم كان أكثر علماء الاجتماع تأثيرا في تطور الوظيفة السوسيولوجية فهو يرى " **أن النظم الاجتماعية توجد فقط من أجل إشباع حاجات اجتماعية معينة**" [1] إلا أنه ذكر في كتابة " الأشكال الأولية للحياة

[1] بيومي محمد أحمد وآخرون، نظرية علم الاجتماع، الاتجاهات الحديثة المعاصرة، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، سنة 2004م، ص 51.

الدينية" أن الدين يقوم بتقوية الروابط الاجتماعية وتحقيق تكامل الفرد مع المجتمع، لأن المعتقدات الدينية في نظره تعبر عن الطابع الجمعي للمجتمع، وأن الممارسات الطقوسية الدينية تقوم بتنظيم وظائف الدين فهذا الأخير يعتبر كظاهرة اجتماعية [1].

ويلجأ **بارسوتر** إلى تبييت أن الدين يشيع حاجة أساسية من حاجات المجتمع وأنه يمثل قوة بالغة الأهمية في تحقيق التكامل الاجتماعي [2].

المنهج المتبع في الدراسة: إن تحديد أي مشكلة حتما سيؤدي إلى اختيار المنهج المناسب وفق لنوعية الدراسة التي سيقوم بها الباحث استخدمت المنهج الكيفي وذلك لتحليل و تفسيرو تاويل الظاهرة الصوفية في المجتمع الجزائري .

وعليه فإن هذا العمل يندرج في إطار الدراسات الوصف الاثنوغرافي (منهج البحث الميداني) حيث تهدف إلى فهم الظاهرة الاجتماعية من الداخل .

التقنيات المستعملة في الدراسة: بما أن موضوع دراستنا هو الأثر، السبب الذي دفعنا إلى استعمال تقنيات والمقابلة والملاحظة .

أما تقنية المقابلة التي تعتبر من أهم الوسائل البحثية لجمع المعلومات والبيانات في الميدان الاجتماعي، بهذا خصصناها لمريدي وشيخ الزاوية العلوية باعتبار هذه الأخيرة نموذجا لدراستنا .

[1] شادية علي قناوي، سوسيولوجيا المشكلات الاجتماعية وأزمة علم الاجتماع المعاصر، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، سنة 2000، ص 39.

[2] الحسيني السيد، نحو نظرية اجتماعية نقدية، دار النهضة العربية، بيروت، سنة 1985م، ص 132.

فهي تسمح بأخذ معلومات كيفية بهدف التعرف العميق على الأشخاص المبحوثين وتكون المقابلة من 03 محاور وهي كالآتي:

- علاقة التصوف بالمريد وكيفية تأثيره (المتصوف) عليه.
- العلاقات داخل الزاوية.
- التسيير النظامي التراتبي للمريدين داخل الزاوية.

وكذلك اعتمدنا على تقنية الملاحظة بالمشاركة كأداة مكملة للمقابلة والتي تعتبر "**معانية مباشرة لأشكال السلوك، وهذه الملاحظة هي الوسيلة التي تفتح مجالا واسعا أمام الباحثين، إذ تمكنهم من جمع المعلومات والبيانات وذلك من خلال ملاحظة جميع الظروف والملابسات المحيطة بالظاهرة، ثم يتجه الباحث إلى حصر وتنسيق نطاق ملاحظاته إذ يحصرها على المواقف والأشياء التي تهمه فقط** "[1].

فكان استعمالنا للملاحظة المباشرة من خلال ذهابنا إلى الزاوية مرة في الأسبوع وملاحظة ظاهرة الجمع الأسبوعي واقتصرت من خلال الجلوس في المؤخرة وملاحظة الظواهر و الطقوس التي يقومون بها.

وبناء على ما سبق نشير إلى أننا قمنا مسبقا بتجريب المقابلة على (06) مريدين والتي احتوت على (05) محاور ومن خلالها استطعنا اكتشاف بعض النقائص من جهة وتكرار بعض الأسئلة بطريقة مغايرة من جهة أخرى. هذا ما دفعنا إلى تغيير بعض الأسئلة الغير الواضحة وتقليص عدد المحاور والتي كوناها في (03).

[1] عبد الوهاب إبراهيم، أسس البحث الاجتماعي، مكتبة الشرق، القاهرة، سنة 1980م، ص 39.

أما من ناحية فهم الأسئلة فمعظم المبحوثين استوعبوا معناها وأدلوا برأيهم فكان هناك نوع من الاهتمام بهذه المقابلة وما تحتويه على أن هذا الموضوع مهما صعوبته الا أنه جدير بالبحث والدراسة .

مجتمع البحث:

يشمل مجتمع البحث في هذه الدراسة باختيار أفراد (مريدي) الزاوية العلوية الموجودة بحي سيدي بوسكرين، وكان ذلك للتحكم في مجتمع البحث وتفادي العراقيل التي قد تواجهنا إذا اخترنا زاويتين أو أكثر.

صعوبات البحث:

أ- فقدان المكتبات الكتب المتعلقة بالطرق الصوفية عامة والطريقة العلوية من الجانب الموضوعي، حيث لم نجد سوى كتب تتحدث من الجانب الذاتي.

ب- صعوبة الاحتكاك بمجتمع البحث ولم يكن ذلك إلا بعد مرور مدة.

ج- رفض بعض المستجوبين الإجابة على الاسئلة المتعلقة بكل زاوية، مما صعب علينا مهمة الدراسة، رغم عدة محاولات الأمر الذي جعلنا نأخذ (04) زوايا بدلا من (05) وكانت المقصاة هي الزاوية الهبرية.

د- رفض المبحوثين استعمال المسجلة، الأمر الذي أدى بناء إلى إقصائها تماما

هـ- عدم تجاوب بعض المريدين معنا في البداية للإجابة على أسئلة المقابلة وقولهم بأن هذه الأخيرة ليست تقنية علمية لكن بعد عناء طويل ومشاركتنا الدائمة لظاهرة الجمع الأسبوعي غير مجرى هذا الطريق.

الفصل الثانـي

الطرق الصوفية في الجزائر

يعتبر التصوف إحدى الطرق الدينية الإسلامية الأكثر رواجا وانتشارا في العالم الإسلامي خصوصا المغرب العربي، إذ أنه ظاهرة دينية، اجتماعية، حضارية عامة، ظهر في وقت مبكر في الجزائر ذلك أن أفكار محي الدين ابن عربي قد انتشرت فيها قبل العهد العثماني بزمن طويل وقد شاع بفضل مدرسة سيدي عبد الرحمن الثعالبي، ولم يكن الانتماء إلى طريقة يعد نقصا أو عيبا بل أن أخذ العهد كان شيئا يعلن عنه ويشاع بين الناس، وان كل الطرق كانت تشترك في كونها لها طقوس تمارسها داخل زواياها.

وهذه الأخيرة بمثابة مؤسسة تكوينية تظم أفرادا **(مريدين)** يقومون بتعاليم الطريقة من خلال هذا نحاول معرفة الأصول التاريخية لظاهرة الطرقية في الجزائر ثم ندرس النظام التراتبي للطرق الصوفية، العلاقة بين الشيخ والمريد، الأساس المعرفي للتربية الصوفية وأخيرا وظائف الزوايا في الجزائر.

1- الأصول التاريخية لظاهرة الطرقية في الجزائر:

لم تقتصر حركة التصوف على المشرف العربي فحسب بل شملت المغرب العربي فكانت على شكل زهد فردي فتطورت لتصبح نظاما وطريقة معينة احتجاجا على الانحراف عن المبادئ والقيم الأخلاقية، فكانت الجزائر من بين البلدان التي مستها هذه الحركة، فظهر فيها رجال حملوا راية التصوف السني * القائم على الكتاب والسنة.

ظهر التصوف في البداية في الكوفة حيث يقول شيخ الإسلام ابن تيمية " **إن أول من عرف بالصوفي هو أبو هاشم المتوفي سنة 150 هـ وقد بلغ ذروته في نهاية القرن 03**

وواصلت انتشارها في بلاد فارس ثم العراق، مصر والمغرب وظهرت من خلالها الطرق الصوفية" [1]

لكن الخلاف لا يزال قائما عن تاريخ الطرقية فمنهم من أرجعها إلى (656 هـ – 1258م) فبدأ التصوف نظريا ثم تحول ابتداء من القرن 10 هـ إلى الناحية العلمية وأصبح يطلق عليه **تصوف الزوايا والطرق الصوفية** فمعظم كبار المتصوفين ومؤسسي الطرق الصوفية هم الغزالي، الفرابي، جلال الدين الرومي، عبد القادر الجيلاني، والطرق الصوفية كانت تعشش بصورة رئيسية في بعض الزوايا ولا نقول جميعا لأن هناك زوايا أقامها أصحابها من أجل العلم والعبادة ولم تتخذ مريدين وإنما كانت لطلاب العلم والمعرفة.

1.1- التصوف والطرقية في الجزائر:

وجد بالجزائر في عهود مختلفة بعدد من شيوخ المدارس الصوفية واشتهر عدد من أبنائها بالاشتغال بالتصوف مثل أحمد البوني الذي كان له تصوفا فرديا لكن إلى جانبه عرفت الجزائر التصوف الجماعي أو ما يسمى بالتصوف الشعبي، مثلا في الطرق الصوفية، فبظهورها لم يعد إلا قليل يمارس التصوف بالمفهوم القديم أي الانعزال.

وقد ظهرت الطرق الصوفية في الجزائر مع بداية القرن 16م، ثم أخذت تنمو في هذا القرن لتنتشر على نطاق واسع في منتصف القرن 18 والربع الأول من القرن 19، وقد بلغ عدد الزوايا في هذا القرن حوالي 349 زاوية وأهم الطرق هي القادرية، التيجانية، الشاذلية، العلوية، الهبرية ....

* التصوف السني: هو التصوف الحقيقي الذي يلتزم صاحبه بخلق الإحسان وهو الذي لا يخالف الشريعة الإسلامية ولا يناقض ما تم عليه إجماع الأمة

[1] عبد الرشيد زروقة، ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1913- 1940)، دار الشهاب لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1990، ص 45.

خلال العهد العثماني تميزت الجزائر بإنشاء الطرق الصوفية، فعاش معظم المتصوفة يبثون عقائدهم ويلقنون أتباعهم الأذكار والأوراد، والزوايا كانت عبارة عن رباطات ومقر بعض المرابطين * وهم الوارثون لقداسة جدهم واللذين قادوا أتباعهم في الحروب الجهادية فمعظمها كانت لها أوقات (أحباس) ووجد ما يسمى بالدراويش، وثبتت الإحصائيات أن عدد الزوايا والأضرحة كان يفوق عدد المساجد والمدارس، ففي تلمسان أكثر من زاوية [1] وهذا ما يؤكد وجود الطرق الصوفية في هذا العهد.

لكن بعد دخول الاستعمار الفرنسي اندثرت هذه الزوايا ومداخيلها فكان عدد الطرق الصوفية الفاعلة في الجزائر حوالي 26 منها 04 انتشرت في العهد الفرنسي كالسنوسية والعلوية، لكن حاول الاستعمار استغلال هذه الطرق لمصالحها منذ البداية ففي عام 1831 وقع اتفاق بين القائد الجينرال **بيرتزين والحاج محي الدين بن مبارك** (مرابط مدينة القليعة) والهدف منها كان تهدئة المقاومة [2] لأن هذه الطرق كانت تنادى إلى الجهاد وتدعوا للمقاومة دفاعا عن الإسلام والأرض مثل الطريقة القادرية في معسكر وبناءا على هذا أكد **مارسيل سيمان** " **أن الزاوية لم تعد فقط مكانا للتعليم بل أصبحت منبتا للجهاد ترسم في ظلام أركانها مخططات الانتفاضات والثورات** [3] " فقد بقى الفرنسيين مدة تزيد عن 15 سنة وهم لا يدركون أهمية الطرق وأسرارها ومن الإجراءات التي اتخذتها لتحطيم هذه الطرق هو اللجوء إلى تفرقة وحدة الطريقة يجعلها تتفرع إلى فروع وعدم تبعيتها إلى فرع واحد بين الطرق التي مستها بالدرجة الأولى من الطريقة الرحمانية (1857-1871) وغيرها.

* المرابط: رجل دين، مجاهد

[1] سعد لله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي (1500- 1830)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، الجزء الأول، سنة 1998، ص 262.
[2] سعد لله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الجزء الرابع، ص 34.
[3] محمد مجاود، دور الزوايا في الحركة الوطنية والثورة التحريرية، من منشورات مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ بالمركز الجامعي مصطفى اسطنبولي، الرشاد للطباعة النشر، سيدي بلعباس، الجزائر، أفريل 2088، ص 316.

2-النظام الترابي للطرق الصوفية:

تؤكد النزعة الدور كايمية على أهمية الدين كأساس للتكامل الاجتماعي، بحيث لابد من وجود نسق وظيفي متوازن يمكن أن نضمن من خلاله قوة الطقوس الدينية، وبهذا فلابد من وجود سلطة أو تنظيم اجتماعي له مهمة نقل القيم الدينية، ولهذا فإن ما يميز أي تنظيم داخل المجتمع سواء كان هذا التنظيم سياسيا أو اقتصاديا أو دينيا أو اجتماعيا هو وجود تقسيم منظم ومفصل للأدوار داخل هذا التنظيم، بحيث يأتي التناسق في وظائف أعضاء هذا التنظيم لأن التراتية داخل أي تنظيم مسألة مهمة وهذا ما يؤكده التصور **الدور كايمي** بقوله: " **شكل تنظيمي لمجتمع ديني**" [1] وهو ما يعبر عنه بالإشراف والتوجيه والتنظيم.

وعليه فالصوفية كاتجاه ديني نلمس فيها هذا التنظيم داخل الزاوية بحيث أن هناك تقسيم للأدوار داخلها ولو جئنا على هذا التقسيم نجد أن المريد ينتقل تصاعديا من منصب إلى آخر للوصول إلى الخلافة، حيث أنها تسير بطريقة هرمية من الأسفل إلى أعلى التنظيم من خلال سلسلة من الأوامر.

نجد في قاعدة الهرم نقيبا للخدم وهو الشخص المكلف بمراقبة الخدم من حيث أداء مهامهم وبالتالي فهو يمارس نوع من السلطة عليهم، فهو يتولى حراسة الذاكرين.

ثم نقيبا للقهوة، يحضرها ويسقيها لهم ثم نقيبا للطعام فهو يقوم بطهيه ويقدمه إلى الآكلين ويصب على أيديهم الماء بعد أن يفرغوا منه.

ثم نقيبا لمجلس الذكر فهو يحدد جلسات الذكر ومضمونها ويستقبل الزوار والوافدين إلى الزاوية ويفتحه وفق أصوله قعودا وقياما ويختمه في النهاية كل حسب ما تقتضيه روح الطريقة من نظم ثم

[1] DURKHEIM Emile, (1912-1960), les formes élémentaire de la vie religieuse. Presse Universitaire de France. 2 éme édition quadrige 1990, p13.

يأتي نقيبا للسجادة وهو مكلف بتنظيم شؤون المصلى والمكتبة وما تقتضيه من إمكانيات. ثم نقيب الشيخ وهي المرتبة الثانية، بحيث يرافق الشيخ في حل نشاطاته ويعتبر الوصي الأول والناطق باسم أحكام الشيخ وتوصياته وقراراته وبالتالي فإنه يتولى بنفسه خدمته في طعامه وشرابه وفي نفض الغبار عن ملابسه وبعد ذلك يؤذن له بالتسليك * وتلك رتبة الخلافة عن الصوفية ومن ثم تأتي مرحلة الخلوة حتى يستكمل النهوض بتعاليم الطريقة لأن الخلوة واجبة لا يتخلف أحد الخلفاء أدائها وأن حلقاتها لا تتم إلا في سنوات ثلاث فيختلي الإنسان في العام الأول بـ 40 يوما ويختلي في العام الثاني بـ 11 يوما ويختلي في العام الثالث بـ 3 أيام. وبعد كل هذا يمكن أن نتحدث عن الشيخ.

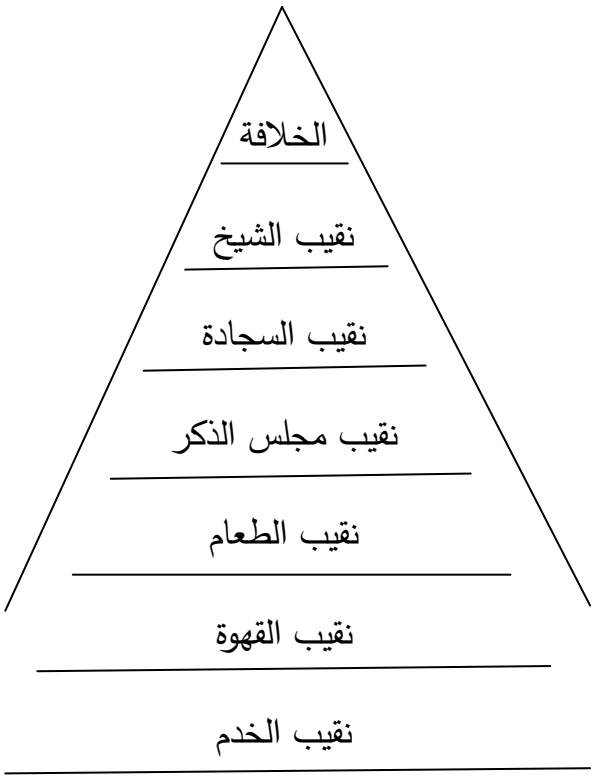

رسم تخطيطي لسلم هرمي يوضح تراتبية أعضاء الزاوية

الشيخ: هو بمثابة الأستاذ للمريد وهو خليفة الورد ومولى الطريقة، فالمريد لا يستطيع أن يتقدم في دروسه بدون مرشد وموجه، فالشيخ هو الذي يحدد لمريده طريق الوصول إلى الله ويساعد على التسيير ولا يمكن لابن الطريق أن يكون شيخا إلا إذا بدأ أول الطريق مريدا وهذا ما عبر عنه **أحمد الرفاعي** في قوله " **الطريق إلى الله إلا على من دخله بوجه صادق غالب، وشوق مزعج فيهون عليه حمل الأثقال وركوب الأهوال**" [1]

فيكون الشيخ واصل لأن السالك بدون دليل لن يصل فهو كشجرة نبتت بنفسها، قال أبي علي الدقاق "**إذا انبثت بنفسها من غير غارس فإنها تورق ولكن لا تثمر، كذلك المريد إذا لم يكن له أستاذ يأخذ منه طريقته نفسا نفسا فهو عابد هوى لا يجد نفاذا**" [2]

وهذا ما يشير إلى مبدأ الرعاية والإشراف المفروض على أتباع الطريقة، بحيث يفرض عليهم الإلزام بأتباع القيادة الروحية للطريقة. وبالتالي الضبط والنظام يفرض بواسطة الإلزام المتبادل بين أعضاء وأتباع هذه الطريقة

والسلطة التي تمارس من خلالها تعتبر كميكانيزم يحرك هذا المجتمع المصغر من خلال إصداره لقواعد وضوابط وتعاليم هذه الطريقة من أجل نهج المريد لها.

ولهذا يعتبر الشيخ بمثابة المرجعية الأولى بالنسبة للمريدين يمثلون أشخاصا يسعون لتبني قيم الفكر الصوفي عن طريق التلقين وهو ما جاء في كتاب الأشكال الأولية للحياة الدينية " **إن السلطة التي تمارسها القيم الدينية ليست إكراهية بل هي نابعة من إرادة واحترام الأشخاص لها**" [1]

* التسليك: هي تعبير عن مرتبة الخلافة عند الصوفية

[1] عزام ملاح، أقطاب التسويق الثلاث (أحمد بدوي، الرفاعي- القناوي) مؤسسة دار الشباب القاهرة، سنة 1968، ص 96.

[2] عمار النجار، الطرق الصوفية، مكتب الأنجلو المصرية، القاهرة، ص 33.

وبالتالي الشيخ الصوفي وحده الكفيل بإبقاء صفة الاحترام كمصدر للقداسة في التوجه الصوفي، وذلك من خلال النظرة له على أنه شخص مقدس. وهذا ما أكده **ماكس فيبر** من خلال " **دراسته للسلطة الدينية على أنها مفهوم مقدس ودائم**" [2]

تعد مرتبة المشيخة من أعلى الرتب في طريق الصوفي نيابة النبوة في الدعوة إلى الله، فالشيخ يسلك بالمريد إلى طريق الاهتداء عبر رسول الله صلى عليه وسلم، وهذا ما نجده عند **دور كايم** في تأكيده على أن الهبة التي يتمتع بها رجل الدين تمثل مرجعية دينية مهمة للنظام الاجتماعي باعتبار سلطة رجل الدين تمثل حضور القيم والمعايير الجمعية داخل المجتمع.

وعليه فمكانة الشيخ في الصوفية هي بمثابة عصب العلاقة بين القيم الصوفية وطقوسها وبينما يسعى المريد إلى إتباعه، حيث تؤسس الصوفية لثنائية الشيخ والمريد كأساس لنقل القيم الروحية الصوفية.

1.2- الشروط والمواصفات المطلوبة في الشيخ:

ذكر الإمام الجنيد أنه " **لا يستحق أن يكون شيخا حتى يؤخذ حظه في كل علم شرعي وأن يتورع على جميع المحارم وأن يزهد في الدنيا وآلا يشرع في مداوة غيره إلا بعد فراغه في مداوة نفسه وحتى يكون على علم يهدي به العباد، فإن مرض مريده يسبب شبهة في علم التوحد داوه وإذا تحير في مسألة الفقه أفتاه، ويشترط أن يكون لديه القناعة بالغنى عن الناس وأن يخاف ويخشى من المعاصي وأن يلازم الكتاب والسنة**" [3] وبالتالي نستنتج أن المرشد يجب أن يتصف بصفات شاملة

[1] Durkhim Emile, (1912-1960) les formes alimentaires de la vie religieuse, Presse Universitaire de France, 2 éme édition quadrige 1990, p 25.

[2] محمد بيومي محمد أحمد، علم اجتماع الدين ومشكلات العالم الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، سنة 2003، ص 361.

[3] عامر النجار، الطرق الصوفية، مرجع سبق ذكره، ص 33.

من بينها أن يكون عالما وخرج من باطنه حب المال والجاه واشتهر بالسيرة الحسنة والأخلاق المحمودة والتواضع والصدق.

فقد طرح رائد التحليل البنائي الوظيفي **إميل دور كايم** في هذا الصدد إشكالية مهمة عن الأساس الذي يقوم عليه المجتمع، حيث يقوم بناءا على أية شروط تكون نشاطات الأفراد ملائمة مع المحافظة على النظام الاجتماعي؟

وعليه فإن الشروط التي يضعها الأفراد داخل المجتمع هي مسألة مهمة، بحيث تأتي هذه الشروط للحفاظ على نسقية التنظيم وعقلانيته وتكامله وموضوعيته في أداء وظائفه، وعليه فالصوفية لها مطالب وشروط كأي تنظيم آخر في المجتمع حيث لابد من توفر ميزات وخصائص تمثل معالم شخصيته هي بمثابة ما يضع الشيخ في قلب الصوفية وبالتالي تنصبه شيخا ومرجعا روحيا أوليا في نقل القيم الصوفية.

3-العلاقة بين الشيخ والمريد:

تؤكد النزعة **الدور كايمية** على وجود مؤسسة دينية، هذه الأخيرة تسعى لنقل القيم الروحية الدينية المتمثلة في سلطة رجل الدين أو القائم على المؤسسة الدينية ويقابله حضور الأفراد لتعاليم هذه المؤسسة، وعليه فالصوفية تعتمد على العلاقة بين الشيخ والمريد كأساس للممارسة الدينية الصوفية.

وعليه فإن واجب الشيخ أن يتعرف على أحوال مريدية ويتابع ظروفهم فلا يجب أن يتصرف المريد على هواه فهو أمانة الله عنده، ولا يصح للشيخ التجاوز عن زلات المريدين لأن ذلك تضييع لحقوق الله تعالى. نجد في هذا الصدد

الشيخ الشعراوي يقول "**لا يصلح حال المريد إلا إذا أفرد شيخه بالقصد وجعل له شيخا واحدا يتلقى منه ويقتدي في سيره وسلوكه إلى الله عز وجل لأنه من غير هذا لا ينفع**" [1]

وخلاصة القول يجب على الشيخ أن يربي مريدية تربية روحية وجسيمة معا بالحكمة المبالغة حتى يصل المريد إلى معرفة الله تعالى، وهذا يجب علينا طرح سؤال وهو ما هي الخطوة الأولى التي يجب على المريد أن يتخذها؟.

انطلاقا من هذا التساؤل جاءنا الحديث عن مسألة العهد.

فالعهد عند الصوفية في حقيقة القرار من المريد الجديد لطاعة الله تعالى ورسوله أمام الشيخ المرشد، فهو إلزام المريد نفسه بالسيرة عن طريق الإقناع العقلي والقلبي وترك المعاصي ظاهره وباطنه أي تدنيس الحياة كما عبر عنها دور كايم، وإذا رغب المريد في الطريقة ووافق الشيخ على رغبته وجب العهد، فهذا الأخير يعد الخطوة الثانية من خطوات المريد. أما الخطوة الأولى فهي مسألة التوبة، فهذه الأخيرة هي أول منزلة من منازل السالكين وأول مقام من مقامات الطالبين [2]. وفي هذا الصدد يؤكد الغزالي على أن " شرط التوبة يتمثل في ثلاثة أشياء الندم على ما عمل من المخالفات،وترك الزلة في الحال، والعزم على أن لا يعود إلى مثل ما عمل من معاصي" [3]ومن ذلك يتضح لنا أن أهم واجبات المريد نحو شيخه طاعة أوامره قال **أبو الحسن الشادلي**: "**عليك أيها المريد بالعكوف على أعتاب شيخك، فإنك لو علمت ما انطوى عليه الشيخ ما برحت عن أبوابهم ولأتيتهم سعيا على الوجه**" [4]

4-الأساس المعرفي للتربية الصوفية:

[1] أبو زيد فوزي محمد، الصوفية والحياة المعاصرة، دار الإيمان والحياة، سنة 1996م، دط، ص 84.
[2] أبو القاسم عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية في التصوف، دار الطباعة للنشر، الجزائر، الجزء الأول، سنة 1995م، ص 253.
[3] كارادوقو البارون، نقله إلى اللغة العربية زعيتر عادل، الغزالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، سنة 1984، ص 167.
[4] عامر النجار، طرق الصوفية في مصر (نشأتها ونظمها وروادها الرفاعي، الجيلاني، البدوي، الشادلي، الدسوقي)، دار المعارف مصر، الطبعة الخامسة، ص 26.

يؤكد **إميل دوركايم** في كتابه "**الأشكال الأولية للحياة الدينية**" على مسألة التكامل الاجتماعي، بحيث تلعب المؤسسات الدينية دورا كبيرا في تأكيد قيمة التربية الخلفية [1] وبالتالي فإن الصوفية كمؤسسة دينية فإنها تسعى إلى إيجاد القيم والممارسات التي تخلق التربية الدينية داخل النسق الاجتماعي، ولهذا فإن الصوفية يعتقدون أن تشرف الإنسان وتفوقه على سائل المخلوقات منوط باستعداده لمعرفة الله، وموضوع المعرفة من أهل المسائل الصوفية بل هو الغرض والهدف الأساسي للتصوف وأن أساس هذا العرفان يتمثل في:

أ- القلب: والمراد منه اللطيفة الروحانية * فهي عبارة عن حقيقة الإنسان، فهو الذي يكون عالما مدركا وعارفا. وفي هذا الصدد نجد أن **الإمام الغزالي** حدد طريق التصوف في تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والإقبال على الله تعالى، وإذا تولى الله أنوار القلب فاضت عليه الرحمة وأشرف النور في القلب وانكشف له سر الملكوت [2]

ب- الروح: فحقيقتها عند الصوفية هي البحث عن المعرفة المتصلة بالله فإننا لا نستطيع أن نستفسر أو يهدأ لها قرار إلا إذا عرفت ذلك الكون الذي تنتمي إليه في جوهرها.

ت- النفس: وتطلق على معنيين الأول: قوة الغضب، والشهوة أي ينبوع الصفات الذميمة الواجب مكافحتها ويطلق العارفون اسم الجهاد الأكبر على مجاهدة النفس فهي بالمعنى الأول ذميمة شيطانية وبالمعنى الثاني: حميدة رحمانية.

[1] عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، ص 312.

* لطيفة الروحانية: هي حقيقة الإنسان

[2] محمد حجام، الرمزي والمتخيل في بنية واشتغال الحقل الصوفي، نحو رؤية سوسيو أنثروبولوجية، جامعة المولى إسماعيل، مكناس، السنة 2006، ص 29.

ولهذا كانت دعوة الصوفية إلى تربية الفرد مثالية فيقول **الإمام الغزالي** **"جانبيك وقد خلقت أمارة للسوء ميالة إلى الشر، فرارة بين الخير، وأمرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل أعلم أن أعدى عدوك نفسك التي بين القهر إلى عبادة ربها وخالقها ومنعها على شهوتها وفطامها عن ذاته"** [1]

ث–العقل: يستعمله الصوفي بمعنى المدرك العام، فقد قسم الغزالي المعرفة عند الإنسان إلى وجهين: أحدهما عن طريق الاستدلال والتعلم وتسمى اعتبارا واستبصارا ويختص به العلماء والحكماء والثاني ما لا يكون بطريق التعلم والاستدلال ولكنه يهجم على القلب كأنه ألقى عنه من حيث لا يدرك.

5- وظائف الزوايا في الجزائر:

أ- الوظيفة الاجتماعية:

لقد لعبت الزوايا كبيرا سواء قبل الاستعمال أو بعده وذلك بإنشاء مجتمع ذو قيمة متشبث بعاداته وتقاليده. بالتالي فإن الوظيفة الأساسية للزاوية اتجاه المجتمع منحصرة في إطعام الفقراء وابن السبيل وهذا ما تبين لنا من خلال ملاحظتنا أثناء الاستطلاع الميداني، حيث تمثلت معظم هذه الوظائف في حل النزاعات بين أطراف المجتمع والصلح بينهم.

ب- الوظيفة الثقافية:

استطاعت أن تحمل مشعل الثقافة العربية في مرحلة الظلام الذي عم الجزائر في ظل الاحتلال، حيث نبغ فيها عدد من العلماء الصالحين الذين كانوا حماة اللغة والدين وعملوا على نشر التعليم العربي ونذكر من بين الزوايا التي لعبت دورا كبيرا في هذا المجال هي زاوية الهامل قرب مدينة بوسعادة. وهذا ما لمسناه أيضا من خلال اتصالنا بأعضاء بعض المنتمين للزوايا،

[1] محمد حجاج، الرمزي والمتخيل في بنية وإشغال الحقل الصوفي، نحو رؤية سوسيو أنثروبولوجية جامعة المولى إسماعيل، مكناس، سنة 2006، ص 34.

حيث بين لنا أن من بين الأمور الثقافية هي تلك الأنشطة التي يقومون بها مثل أحياء عيد المرأة، ذكرى الأمير عبد القادر ... ويتبين أيضا من خلال الوعدات التي يقومون بها النظرية التي تبرز وجود هذه الطرق الصوفية، معنى ذلك أن هناك تقارب واضح بين الدراسة الميدانية والدراسات النظرية.

بالتالي يمكن القول أن الفرضية الأولى قد أكدت مجراها، وذلك من خلال وجود أثر للطرق الصوفية في المجتمع الجزائري والمجتمع المعسكري خاصة.

الفصل الثالث

دراسة ميدانية للطريقة الصوفية في ولاية معسكر

الزاوية العلوية – نموذجا

سنتطرق في هذا الفصل من المذكرة إلى الجانب الميداني للدراسة لإثبات أو لنفي فرضية البحث عن طريق تحليل النتائج المتحصل عليها في المقابلة بالاعتماد على مزج ما هو نظري بما هو ميداني هذا من جهة، ومن جهة أخرى لتسهيل وتوضيح عملية التحليل عن طريق الاستشهاد بآراء ودراسات سابقة لإعطاء هذه المعطيات معنا وعمقا. وبناءا على هذا فالطريقة المتبعة في ذلك هي كالآتي:

اتخذنا تحليل المحاور الثلاث (03) الموجودة في المقابلة.

فالأول يتناول علاقة التصوف بالمريد.

أما الثاني فيدرس العلاقات الاجتماعية داخل الزواية، اعتمدنا في ذلك على تحليل **بارسونز** للنسق الاجتماعي الذي يعرفه على أنه " **شبكة من العلاقات القائمة بين الفاعلين**" [1] . يقصد بها العلاقة الموجودة بين الأفراد وتكون العلاقات تفاعلية.

بينما سنعالج في المحور الثالث النظام التراتبي الموجود في الزاوية

1- المحور الأول: علاقة التصوف بالمريد:

يعيش المريدين داخل المجتمع الصوفي بعلاقات متنوعة تربطهم روابط قائمة على أساس القانون الصوفي. والذي يكون من خلاله تسيير لواقعهم من حيث سلوكاتهم، أفعالهم، رغباتهم وتوجيهاتهم وبالتالي ينعكس كل هذا على المجتمع الخارجي (الشارع). بناءا على هذا نحاول معرفة عالم الصوفية من خلال نظرة المريدين له ومدى تأثيره على سلوك الأفراد.

[1] محمد عبد الرحمن عبد الله، النظرية في علم الاجتماع (النظرية السوسيولوجية المعاصرة)، الجزء الثاني، دار المعرفة الجامعية، بيروت، ص 27.

يعتبر التصوف من المواضيع التي على الباحث فهمها ودراستها حيث يقول **نيكولسون** "إن الأنظار التي اختص بها متصوفة المسلمين نشأت في قلب الجماعة الإسلامية أثناء عكوف المسلمين على تلاوة القرآن" [1]. هذا ما يبين أن التصوف نشأ بين أحضان الإسلام، تقول المبحوثة (أز 22 سنة) " التصوف هو قلب الإسلام، كيما نقولوا حنا يوجهك" ما يمكن قوله أن هذا الباب يعتبر كيانا وجانبا أساسيا في الإسلام وهذا ما أكده **محمد أركون** في قوله " **قبل أن نتحدث عن الإسلام يجب أن نتحدث عن التصوف**" [2].

قال المبحوث: (ب.ح 45 سنة) "**الإنسان المتصوف يعيش الظاهرة والباطن**" يعني أن الفرد يعيش واقعه المعاش داخل المجتمع الصوفي والذي يظهر في سلوكاته من خلال قيامه بعملية الجمع، أي تكون عملية ممارسة الفعل الصوفي ويعيش الباطن وهو الجانب الخفي في المريد ويعد الباب المراد التعمق والتوسع والوصول إليه وهي محبة الله.

بالتالي فإن التصوف يمثل تلك التجربة المعاشة نتيجة اللقاء الحميمي بين المؤمن والإله ويضيف أركون بان تجربة التصوف هي محللة بواسطة محاسبة الضمير وعودة الصوفي على ذاته [3].

1.1- تأثير التصوف على سلوكات الأفراد:

أي فرد في المجتمع إلا ولديه سلوك مكتسب يعطي له صبغة تفرقه عن غيره وهذا ما يمكن تطبيقه داخل المجتمع الصوفي المصغر، أي أن الفرد (المريد) أثناء اندماجهواحتكاكه بأفراد الزاوية يصبح

[1] لويس ماسينيون، عبد الرازق مصطفى، ترجمة رشيد إبراهيم مخور وزملائه، التصوف، دار الكتاب اللبناني، ص 48.
[2] أركون محمد، الفكر الإسلامي، نقد واجتهاد، دار الساقي، الطبعة الأولى، سنة 1992م، ص 157.
[3] نفس المرجع، ص 157.

مزود بقيم ومعايير وبذلك يكون تنظيم الحياة الصوفية في الزاوية من خلال تأثير التصوف في سلوك المريد.

هذا ما ذهب إليه معظم المبحوثين إلى أن للتصوف تأثير في سلوك المريد ويتجلى ذلك في تنظيم العلاقات بين المريدين والمعاملة فيما بينهم قائمة على أساس الاحترام والنظام. يقول المبحوث (أ.ع 48 سنة) "**يؤثر التصوف في الفرد وذلك في المعاملات الدينية والدنيوية ويكون ذلك من خلال التربية الأخلاقية**".

وهذا ما ذهب إليه أحمد بدوي في تعريفه للتصوف حيث قال: "التصوف ليس ركنا من أركان الإسلام، ولكنه ركنا من أركان الأخلاق" [1] وبالتالي هذا ما يبين أن الأخلاق مفتاح الأعمال الطيبة والطريق الموصل إلى معرفة كتاب الله عز و جل ورسوله. لا يكون للتصوف تأثير في الأخلاق فقط بل في نفسانية المريد حيث تقولا المبحوث (أ.ع 45 سنة) "**يؤثر التصوف في نفسانية المريد والمريدة يعني يولي كالريشة يخليك تسمحي في حقك**".

هذا ما أكده أيضا معظم المبحوثين وبالتالي يكون تصوفا حقيقيا لأنه يمس المريد في كل جوانب شخصيته، لكن من ناحية أخرى تكون له صبغة تأثير سلبي حيث الكثير من الأفراد ينظرون إليه بأنه سبحة وعباءة "جلابة" وهذا ما ذهب إليه المبحوث (ب.أ 45 سنة) "كاين لي خاطب الشكل."

[1] عزام صلاح، أقطاب التصوف الثلاث (أحمد بدوي، الرفاعي، القناوي)، مؤسسة دار الشعب القاهرة، سنة 1968م، ص 95-96.

وبالتالي هذا كله يكون على أساس الإقناع وينعكس في سلوك المريد مع المريد الآخر من خلال التفاهم والاتفاق وبذلك يكون التنظيم داخل المجتمع الصوفي ويكون تعبيرا عن ما بداخل الفرد من إخلاص، صدق وبالتالي يخاطب ضمير الإنسان.

2.1- الانضمام إلى الزاوية:

من الطبيعي أن لكل مؤسسة أفراد منتمين إليها وباعتبار أن الزاوية كمؤسسة اجتماعية، تربوية فإنها تظم مريدين يقومون بطقوس التصوف داخلها ولهذا فقد وجدنا أن معظم إجابات المبحوثين اتخذت مسار واحد وهو أن الأسرة هي السبب الوحيد في هذا الانضمام.

أي ما يمكن قوله أن وجود الطفل داخل أسرة متمسكة بأخلاق وقيم وكونها تعيش في بيئة كلها وجدت في طائفة علوية صوفية، (طفل) حيث يصبح مزود بهذه القيم وبالتالي يكون التأثير منصب على أفكاره وأخلاقه... الخ حيث يقول المبحوث (أ.ع 48 سنة) "**ورثنا هذا عن آبائنا وأجدادنا فنشأت في بيئة كلها عن أب وجد في الطائفة العلوية**" هذا ما يبين أن الفرد في مرحلة طفولية لا يكون خاضعا لتأثير جماعة أخرى بقدر مايكون خاضعا لأسرته فهو سهل التأثير وتحديد القابلية للاستهواء وقليل الخبرة وضعف الأداء

بالتالي فإن الاكتساب يعود للتنشئة الأسرية باعتبارها الإطار الأول الذي يرتسم داخله الفرد من حيث سلوكاته وتصرفاته ويكون ذلك عن طريق التربية التي يتلقاها. أي أن أسلوب التنشئة في الأسرة، هو ذلك الأسلوب الذي تبديه (الأسرة) للطفل لتنميته وتهذيبه وتكوين أفكاره، فالأبوان ينشئان أبنائهم وفق

العادات والمعتقدات والأفكار والاتجاهات الثقافية التي يؤمنان بها، وهو ينهل من هذه المعتقدات طالما ظلت الأسرة دائرة الاتصال الوحيد في حياته.

وقد يأخذنا القول أيضا إلى الثوارت الأسري بين الأجيال وهذا ما أقره المبحوث (ب.ع 81 سنة) "**الأصل من جدودي هو الأصل الذي خرج منه الطريقة**" وبالتالي يكون الاكتساب عن طريق التربية الدائمة للفرد وانضمامه داخل الجماعة الأسرية وتعليمه طقوس وتعاليم الطريقة وبالتالي تكون غرس القيم من رأى أسرية.

لكن الأسرة ليست الوحيدة في غرس معطياتها في سلوك واتجاه الفرد بل يلعب المحيط الخارجي أيضا (المجتمع) دورا هاما باكتسابه قيم يتبناها باعتباره من المستحيل أن يعيش منعزلا عن العالم (المجتمع) لضروريات اجتماعية (دفاعية تماشيا مع ابن خلدون) [1] .

قال المبحوث (ع.ع 41 سنة) " **كنت نحب الأولياء ولقيت جماعتي كيفي (صحابي) ووجدت نظرة مغايرة عن كل الطرق الأخرى**" هذا ما يشير أن احتكاك الفرد بأفراد مجتمعه يكسبه أفكارا وأراء ومعتقدات مشتركة فيما بينهم تمثل مقدسات الجماعة.

2-العلاقات الاجتماعية داخل الزاوية:

في هذا المجال يتحدث **بارسونز** عن النسق الاجتماعي والذي سعى فيه للتركيز على قيمة الفاعلين (الأفراد) باعتبارهم هم الأساس الأول المكون للنسق الاجتماعي من خلال هذا نريد تحليل العلاقات الموجودة داخل الزاوية من حيث علاقة المريدين مع بعضهم البعض، والمريدين مع الشيخ.

[1] ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، المكتبة المصرية صيدا، بيروت، الطبعة الثانية، سنة 1996، ص 39.

إن عمليات التفاعل الاجتماعي التي تحدث بين أفراد الزاوية تخذ أشكالا متعددة حيث تلعب دورا بارزا في تحديد نوع العلاقات الاجتماعية التي تسود الأشخاص (المريدين) الفاعلين كالتعاون، الصراع، التوافق وغيرها من العمليات الاجتماعية.

تتجه آراء المبحوثين إلى أن العلاقة بين المبحوثين هي علاقة روحية أخوية لأن الطريق واحد إلى الله. لا يوجد تفرقة بينهم وبالتالي تكون على شكل دائرة أي علاقة تكامل. لكن العلاقة تختلف بين المريدين فمنهم من تكون بينهم علاقة واسعة، ومنهم من تكون لديهم علاقة سطحية لكن في مجملها تصب في قالب واحد وهي العلاقة بين المريدين والمريدات كلها قائمة على أساس علاقة روحية وتعاون ومحبة وأخوة وغيرها.

فالمساعدة التي تحدث بين المريدين داخل مؤسسة الزاوية متوفرة وتكون إما مادية أو معنوية حسب الإمكانيات حيث اتجه جل المبحوثين حول مقولة واحة وهي: " 1) **أنت وأنا، 2) أنت أنا وأنا أنت، 3) لا أنا ولا أنت هو" قال المبحوث (ج.ع 49 سنة) " هذه الفيستة شراها لي واحد مريد**". وبالتالي فالمساعدات التي تكون بين أفراد الزاوية لا تكون بدافع الشفقة ولا بدافع القرابة ولا شيء آخر بل تكون بدافع المحبة في الله وقوة التماسك الإسلامي الصوفي فتوفر عنصر الرحمة، الرأفة والمحبة هو الأساس يقوم المبحوث (أ.ز 22 سنة) " **لما مرض أبي ولوا يجيبونا الفقراء القفة** ".

أما من ناحية المساعدات المقدمة للشيخ فهي لا تتسم بنفس السمات للمريد الأخر بل تنحصر في كون أن المريد يقوم بنشر أعمال وأقاويل شيخه بين الناس (أفراد المجتمع) وذلك من أجل جلب أكثر

ما يمكن من الأفراد إلى الطريقة وبالتالي يكون تجديد في أفكاره وأعماله. فيقول المبحوث (أ.ب 40 سنة) "**الشيخ بالنسبة ليا هو كأب**"

وبالتالي يعتبر الشيخ (المقدم) الركيزة الأساسية في الزاوية فهو الذي يقوم بتلبية رغبات مريديه وهو الذي يعلمهم ويقوم بمساعدتهم في جميع الجوانب مادية كانت أو مادية كانت أو معنوية. والذي يساعد صديقه المريد كأنه يساعد شيخه ومشى في طريقه.

لكن يتجه بعض المبحوثين إلى ذكر أن لا يوجد مساعدات تقدم للشيخ بل هو الذي يساعدنا فيقول المبحوث (ب.ع 31 سنة) "**أنا راني هنا باه يساعدوني**" هذا لا يبين أن المقصود من ذلك هو دافع المصلحة بل الهدف هو تعليم المريد المقامات الصوفية (العلوية) وأذكارها وغيرها من التعاليم للوصول إلى المحبة، فيكون ذلك عن طريق القراءة وتجديد فكر المريد عن طريق محو المفاهيم الخاطئة التي كنت تستمد من الشارع وخاصة الشباب لأنه الفئة الأكثر تعرضا للمشاكل والآفات الاجتماعية.

أما من ناحية احترام الشيخ فكل المبحوثين أجابوا كونه على أساس ديني فقط لأنه يعتبر المكمل لهم في جميع متطلباتهم التعليمية وهو الذي يشبعهم بأفكاره فيعتبر كمدرسة تعليمية، فقال (إ.ج 48 سنة) "**بجلي * المشايخ، فإن تبجيلهم من تعظيم جلال الله**".

وبالتالي يعتبر شيخ الزاوية كقوة تدفع بالمريد إلى حب الطريقة والتمسك بها، فالعلاقة القائمة على أساس ديني تنتهي بعلاقة قوية ومتينة. لأن هدف الطريقة هو الوصول إلى محبة الله ورسوله.

* بجلي : الوقر

أما عن آخذ محل شيخ الزاوية في حالة غيابه فمعظم المبحوثين أجابوا بأنها مسؤولية صعبة لأن الشيخ عالم بما في هذا المحيط فهو الذي يكلف أحد أعضاءه أثناء غيابه.

أما عن آخذ قرار المريد عن قرار، الشيخ فهو جائز داخل الزاوية، فالشيخ (المقدم) أثناء عرض مشكلة ويكون البحث عن حلها، فالصواب منها يؤخذ، وبالتالي يمكن القول أن القرار قائم على أساس الشورى بين أفراد الزاوية. ما يمكن استخلاصه أن الزاوية تعتبر كأي مؤسسة اجتماعية، تربوية، فهي تهدف إلى غرس القيم الدينية في نفوس مريديها وتقوم على علاقات روحية فقط.

3-النظام التراتبي (الوظائف):

تعتبر الزاوية مؤسسة اجتماعية، تربوية، يرأسها شيخ يتمتع بجاذبية وقدرة التعبير والإقناع ومريدين يلتفون حوله هو ما يجعل من الضروري وجود هناك تقسيم لمهام كل واحد.

ولهذا يزيد من خلاله معرفة ما إذا كان هناك تسيير نظامي لتراتبية المريدين داخل الزاوية العلوية كل المبحوثين أجابوا بأن هناك تقسيم للمهام داخل الزاوية، وهذا ما يظهر خاصة داخل الجمع الذي يحدث في يومي الخميس للنساء والجمعية للرجال. فقال المبحوث (ب.ع 31 سنة) "يوجد تقسيم مهام ونفوذ إلى الجمعية فهي المكلفة بهذا". هذا أن التقسيم لا يكون عشوائيا من تلقائية المريدين بل يكون عن طريق نظام وقانون هو الذي يسيرها ويتحكم فيها.

فمهمة كل واحد لا تكون عن طريق الفرض أو الغضب بل عن طريق الإقناع، أي المريد بما سوف يفعله فمثلا ساقي الشاي قال بأنه لا يفعل هذا إلا بدافع اقتناع، أي أنه مقتنع بما يفعله، كما أنه يعتبر خبير في هذا المجال.

بالتالي تكون مهمة كل واحد عن طريق الرضا، من ناحية أخرى يوجد مسمعين لقصائد الشيخ، وبالتالي لا يدخل في التقسيم المستوى التعليمي ولا شخصية المريد بل يتوقف على خبرته واقتناع ورضا كل واحد منهم ويكون هذا نفسه عند النساء، أما من ناحية إلزام كل مريد بتأدية وظائفه فكانت معظم الإجابات بأن كل واحد راض على العمل المقدم له. فقال المبحوث (أ.ب 40 سنة) "**كل واحد يخدم خدمته**" هذا يعني أن كل مريد من الزاوية إلا ويعرف ما سوف يفعله دون غصب ويكون ذلك حسب طاقاته ومؤهلاته، لا يكون هناك فرض رأي.

لكن إذا غاب أحد الفقراء عن الزاوية يكون هناك من يستخلفه في عمله وبالتالي لا يجب أن يظهر أي عيب خاصة أثناء الجمع، حتى وإن كان الذي يقوم بوظيفته أعلى من الأول. فيهم يعتبرون أنفسهم سواسية كل واحد حامي الثاني، فكل شيء مبني على التواضع وهذا ما أكده لنا المبحوث (أ.م 26 سنة) حيث قال: "**كلنا نمشي بكلام الرسول الله صلي الله عليه وسلم، الناس سواسية كأسنان المشط**".

أما باقي الإجابات قالت بأن إذا كانت المسؤولية فوق استطاعتنا فلا نعمل بها وهذا ما تبين لنا أثناء حضورنا فكان الذي يغيب عن عمله 3 مرات يعزل عن مهامه، ويكلف شخص آخر بأخذ مكانه. فقال المبحوث (ب.ف 22 سنة) "نعرف ندير حاجة نديرها، ما نعرفش نقول ما نعرفش نورمال".

هذا كله يبين أن الاقتناع بالعمل شيء ضروري واجب ولا يوجد أي قصر وبالتالي يمكن القول أن المريد المريدين والمريدات داخل الزاوية يقومون بأداء واجبهم حسب ما يستطيعون. فقال المبحوث (ب.ع 31 سنة) "**أن تدين من أحببت**" فلا يوجد إكراه في العمل ويعتبرون أنفسهم كلهم سواسية لا فرق

بين الدارس والجاهل. فلا يوجد إقناع مفروض بل يوجد رضا بالشيء. أما من ناحية موقف كل واحد من هذا التنظيم الموجود داخل الزاوية فكل الإجابات دارت حول كلمتين هما: " راضية بيه".

فكل واحد يشغل حسب طاقاته وخيراته ومحبته فقال (ب.ج 81 سنة) "**الرضا بالشيء يأخذك إلى محبته**" فالتقسيم الموجود للرجال هو نفسه للنساء لكن وجدنا أن النساء زاد أوفر من الرجال فهن يعملن بنية وجدية أما الرجال فيقومون بالشيء بدافع لفت الأنظار إليهم وهذه صفة موجودة عند بعضهم فقط.

فكل المبحوثين أجابوا بأن التنظيم هو نفسه لكل الجنسين وبالتالي يمكن القول أن إلزام الفقراء بأداء وظائفهم داخل الزاوية يعتبر إلزام حسب قدرات وطاقات كل واحد، المهم أن يكون هناك اتصال بين أفراد الزاوية.

من ناحية الأنشطة التي تقوم بها الزاوية باعتبارها مؤسسة اجتماعية، تربوية فهي مختلفة فمنها ما هو علمي، ثقافي، ديني، هذا يعني أن الزاوية لا تقوم بمهمة تعليم الفقراء التعاليم العلوية فقط بل تعدى ذلك، وهذا ما لمسناه في يوم 08 مارس هو عيد المرأة الذي أعد له يوم خاص في دار العجزة. وتمحورت كل الإجابات حول إعطائنا مختلفة هذه النشاطات وتمثلت في:

1- الأنشطة العلمية مثل يوم العلم

2- ثقافية: يوم البيئة تقوم بعض الدروس للشيخ العلوي

3- الأنشطة الدينية: المولد النبوي الشريف، تعليم القرآن.

المحور الثاني: ممارسة التصوف في الزاوية العلوية

إن المتمعن في تعاليم وطقوس أي طريقة من الطرق الصوفية يجد في شيوخها ميزة خاصة وذلك أنهم ينفردون بحقل معرفي صوفي يراه بارزا في نصوصهم التي تحكى تجاربهم الروحية ورؤاهم للوجود والذات، ومن بين مؤسسي الطرق الصوفية المعاصرة هو الشيخ العلوي (الطريقة العلوي) حيث أردنا الغوض في هذا المسار وذلك لمعرفة كيفية ممارسة التصوف في الزاوية العلوية باعتبارها نموذجا لدراستنا وذلك من خلا الدراسة الميدانية التي قمنا بها.

1- التعريف بزاوية الطريقة العلوية:

أ- موقعها:

تقع الزاوية بحي سيدي بوسكرين قرب جامع الإصلاح.

ب- شكل بنائها:

هي في الخارج شكلها شكل مسكن لكن مبنية بالطراز الأندلسي، مطلبة بالدهن الأصفر مع اللون البني وهي مكونة من طابقين.

ث- مكوناتها الداخلية:

تتكون من طابقين، الأسفل فيه قاعد كبيرة مخصصة لأداء الصلوات والجمع، مستطيلة الشكل مثلها مثل المسجد من الداخل مفروشة الأرض بزرابي، جدرانها مزخرفة مطلية بدهن أخضر لماع، فيها محراب وفي الجانبين صورتان من القرآن، وفي الجدار المقابل نجد أية. بعض الكتب القرآنية وكتب فقهية موجودة داخل خزانة ويوجد مكان لوضع الأحذية ومكان لوضع

العباءات، وفيها قاعة مفروشة مخصصة لتحفيظ الصغار القرآن الكريم بها سبورة بها مكان مخصص لوضع ألواح الأطفال الذين يتعلمون القرآن وبها عدد من الصور القرآنية المعلقة على جدرانها وفي الجهة الأخرى نجد شبه مطبخ به آواني ملك للزاوية متمثلة في صحون و أباريق للشاي وأواني لشرب الماء يستعملونه لتقديم الشاي والأكل والشرب للمريدين الذين يأتون للزاوية وفي الجهة الأخرى نجد مرحاض.

أما الطابق الأعلى فنجد قاعة كبيرة مستطيلة الشكل فيها صبورة وفوقها صورتان للشيخ العلوي وأخته، جدرانها مطلية باللون الأخضر فيها مجموعة من الطاولات مشكلة على شكل مستطيل، يستعملونها للاجتماعات وتعليم الأصوات الموسيقية الدينية للأطفال، فيها كتب قرآنية حوالي 90 كتاب في الخزانة، يوجد مدفأة وفي الناحية الأخرى يوجد قاعة للجمعية.

أما المسؤول فيها فهو مريد متوسط السن مكلف بفتحها صباحا وغلقها وتنظيفها أسبوعيا والسهر على خدمتها والاعتناء بها وبالأشياء التي بداخلها.

2-رؤساء الطريقة العلوية:

أ- مؤسس الزاوية: هو أبو العباس سيدي أحمد بن مصطفى العلوي بن محمد أحمد المعروف بأبي شنتوف [1] والملقب بمدبوغ بن الحاج علي المعروف عند العامة بابن عليوة أصل أسرته من

[1] Ali Alaui, Document et témoignages par Johan Cartigny, édition les amis de l'islam, Paris 1984, p 15

مدينة الجزائر، ولد الشيخ بمستغانم سنة (1291 هـ – 1869م) وتوفي سنة 1934، من أثاره ديوان مجموعة القصائد ومئات المقالات التي نشرت في جريدة البلاغ [1]

3- الممارسات التعبدية للطريقة ودلالتها التربوية:

1.3- مؤسسة الزاوية مجال عيش التجربة الصوفية:

الزاوية العلوية تجسيد للجهود التربوية والاجتهادات التربوية لرجالها ومشايخها وكان أتباع (المريدين) هم ذلك التمثيل لخصوصيات وأهداف التربية الطريقة. وقواعد هذه الممارسة الخاضعة لنظام دقيق في السلوك، ولعل الدراسة الميدانية في تلك الزاوية أكدت مدى تجسيد هذه الجهود عمليا من خلال العلاقات بين المريدين، الممارسات التعبدية، السلوك ولعل القيمة الأجرية التي نصت عليها الطريقة من تلك الممارسات التعدية دافع حضوري لالتماس البركة الصوفية كدواء روحاني لأوساخ الواقع، فالاستعداد النصي لإثبات قيمة التجربة يكون من خلال الجمع الأسبوعي وما يحمله من قيمة كبيرة (الثواب، الأجر) والثقافة الصوفية المبنية على التذوق من خلال تاريخ رجالها وأخبارهم كلها دوافع تحفز المريد للحضور إلى الزاوية وممارسة الجلسة الروحية المبنية عند الصوفية على المحبة.

2.3- **وظيفة ودلالة الجمع الأسبوعي:**

[1] بن أحمد الكنوني عبد السلام، من تراث الطريقة العلوية، أضاميم المد الساري لصحيفة البلاغ لصحيفة البلاغ الجزائري، الجزء الأول، الطبعة الأولى، سنة 1406 هـ 1986م، ص 05.

من خلال الدراسة الميدانية التي قمنا بها في الزاوية العلوية وجدنا أن المريدين اللذين يحفزون الجمع الأسبوعي كان هدفهم هو التماس القيمة الروحية باعتبار أن هذا الجمع بمثابة (حلقة الذكر). لها فضل وثواب

فيعتبر مكان للتطهير المعنوي من رذائل النفس وكتجسيد للقيمة النظرية عن طريق عيشها بالممارسة داخل الزاوية وكمحاولة تجسيد الصلة بالله.

إن حضور هذا الجمع هو الهروب من الواقع اللاروحي المادي وتصور الواقع العقلاني الروحي المبني على عيش الحقيقة الدينية الصوفية من خلال الانعزالية من خلال حضورنا ومشاركتنا الدائمة لهذه الظاهرة الأسبوعية (الجمعة عند الرجال) التي تمارس في الزاوية لاحظنا أن متوسط حضور المريدين هو 30 مريدا على الأكثر اللذين يقطنون داخل المدينة وخارجها ويمكن تصنيف الهرم السني لهم على ثلاثة مستويات (شيوخ كبار السن 60 سنة إلى 80 سنة) الكهول (تتراوح أعمارهم ما بين 35- 50 سنة) الشباب (18- 35 سنة) ويوجد أيضا صغار السن، فلاحظنا أن في الحضور هي الفئة الغالبة فئة الشباب ويمكن أن نمثل طقوس الجمع الأسبوعي من خلال:

أ- الشكل التنظيمي للجمع وكيفية تسييره:

إن حضورنا كان مقتصر غالبا على النساء كل يوم خميس، يبدأن المريدات في الانتظار داخل الزاوية للبدء في الجمع وأثناء الدخول تجلس المقدمة ونائباتها بجانبها في الجهة المقابلة دلالة على علو مكانتهن واحترامهن، ويقابلهن في الصف الأول المسمعين وورائهم باقي المريدات يؤخذن أشكالا مستقيمة فيبدأن بالورد وهو تلاوة ورد الطريقة العلوية ويتمثل بقراءة

صورة الواقعة وبعد نهايتها يذكر دعاءا "**اللهم يا من جعلت الصلاة على النبي من القربات، أتقرب إليك بكل صلاة صليت عليه من أول النشأة إلى ما لا نهاية الكلمات (ثلاثا)، سبحان لا ربك ربي العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين (مرة واحدة)**"

- **الاستغفار**: وذلك بعد الاستعاذة من الشيطان الرجيم ثم البسملة (ثلاث مرات)، تلاوة الآية من سورة المزمل " وما تقدموا لأنفسهم من خير ... إن الله غفور رحيم"

الصلاة على النبي، وتبدأ بتلاوة الآية "إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها اللذين آمنو صلوا عليه وسلموا تسليما (مرة واحدة)" ثم (الله ما صلي على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم (مئة مرة)"

- **الهيللة**: وتبدأ بتلاوة الآية "شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكي
- م، إن الدين عند الله إسلام (مرة واحدة" ثم "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير (مئة مرة)".
- **الحمد لله**: تبدأ بتلاوة الآية "**الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا إن هدانا الله (مرة واحدة)**" ثم "**الحمد لله والشكر لله (مئة مرة)**" قراءة صورة الإخلاص (ثلاثا) وتنتهي بالتصلية على رسول الله، وبعد ذلك يتلوا الجمع الصلاة المشيشية ثم مناجاة الشيخ العلوي.
- السماع: يجب أن يجمع المريون همتهم وفكرهم في السماع كي تتجلى لهم المعاني التي تحويها القصائد، كما يجب الانتباه والإصغاء لما يقلنه المسمعين حتى يتمكن الرد بأحسن ما يكون.

ب- **دلالة لباس المريدين:** من خلال مشاركتنا لظاهرة الجمع الأسبوعي في الزاوية لاحظنا أن أغلبية المريدين عندما يدخلون للزاوية وقبل ممارستهم لهذه الظاهرة يرتدون عباءة بيضاءة اللون وعمامة بيضاء ويأخذون امكانهم وهذا دلالة أن لا فرق بينهم وبالتالي هذا يعد رمز لهن.

ج- **دلالة تأدي التحية:** يعتبر أدب التحية الذي يستعمله المريدون فيما بينهم داخل الزاوية من خلال ممارسة الجمع الأسبوعي هو بث ثقافة التواضع التي تنص عليها تعاليم الطريقة فهي عامل لنزع ثقافة التمييز وبث علاقة المحبة والالتحام الروحي وتحسيس المريدين بأنهم إخوة وسواسية في الطريقة مهما كانت مستويات الثقافية

وبالتالي فإن هدف التحية داخل الطريقة هي تربية النفس المطبوعة على التكبر هن طريق الحط من منزلتها الدنيوية داخل الزاوية وهذه الأخيرة تعتبر مكانا لتجسيد مبادئ التربية الصوفية في الطريقة العلوية.

د- السلم التنظيمي للجمع:

أ- مقدم الجمع: مهمته افتتاح الجمع والتحكم فيه وختمته في النهاية، كما أنه هو الدي يحمل السبحة.

ب- مقدم الزاوية: مكلف بتقديم الشاي هذا عند الرجال لكن عند النساء يوجد بنات مكلفين بهذه المهمة.

ت- المسمعين: يجلسون في المقدمة، مهمتهم إسماع المريدين قصائد شعرية صوفية ويختتمن الجمع بأدعية وفي النهاية يسلمون على بعضهم البعض في الكتف.

3.3- وظيفة السماع (قصائد السماع):

يرى أئمة الصوفية أن السماع هو استجمام من تعب وتنفس لأرباب الأحوال واستحضار الأسرار [1].

أثناء حضورنا في الزاوية لمسنا أن المسمعون يأخذون الصف الأول وهم اللدين يقدمون (يقومون) بترديد ذلك حتى أن لحن العقيدة يؤثر في حركات المريدين ويظهر من خلال تماسكهم وتفاعلهم بحركات معينة كتحريك الرأس أو الجسم ويحاربن هذا الطقس مدة ساعة تقريبا وأثناء هذا يقدم الشاي لهم وقد يصحبه ببعض الحلوى أحيانا، وعلى المريدون توخي الآداب التام ويستلمون الكأس بمجمع أصابعهم ولا يضعونه على الأرض أبدا إلا إذا كان هناك صحنا تحته ويحتسي الشاي بصمت إلى أن يمر الساقي بجمع الكؤوس. وبعد نهاية ذلك يختمون الجمع بترديد بعض الصلوات والأدعية ثم يرفعون أيديهم داعين الله تعالى ثم يسلمون بعضهم على الكتف وبالتالي يمكن القول أن السماع يعتبر وسيلة الصوفية بجلب الأتباع.

في هذا الفصل أردنا تحليل مقابلات المبحوثين من جهة ودراسة الممارسات التعبدية في الزاوية العلوية من جهة أخرى، باعتبار هذه الأخيرة نموذج لدراستنا ولهذا أردنا الخوض في هذه المؤسسة لتبيين مدى تمرير الخطاب الصوفي وممارسة الطقوس لهذه الطريقة.

[1] محمد عقيل بن علي المهدي، دراسة في الطرق الصوفية، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الثانية، ص 63.

فمن خلال المشاركة والحضور المستمر لمسنا أن هناك عيش للتجربة الصوفية داخل الزاوية العلوية وهذا يبين أن هناك تأثير لهذه الممارسات على مريدي الطريقة العلوية وهذا تأكيد للفرضية الثانية التي تخص هذا الجانب.

خاتمة عامة

من الطبيعي أن الباحث نهاية بحثه يعرض نتائجه لتأكيد أو لنفي فرضياته التي وضعها في بداية بحثه.ودراستنا هذه كغيرها من الدراسات طرحنا فيها أشكالا ثم أجبنا عنه باقتراح مؤقت من خلال فرضيتين. وبناء على هذا فالنتائج التي توصلنا إليها تتمثل فيما يلي:

التصوف كطريق ديني هو أيضا قائم على أساس دور الشيخ والمريد اللذان يحافظان على قيم المجتمع المستمد من تعاليم الإسلام والأعراف، وهناك ارتباط وثيق بين الزاوية والتعاليم الصوفية، فالطرق الصوفية والزوايا في الجزائر (معسكر) كان لها أدوارا مهمة في الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية والحياة السياسية أيضا.ارتقت الطرقية لشكل إطارا تسييريا مؤسساتيا بالرغم من حفاظها على الطابع التقليدي مع إصرارها في مواكبة العصر، فكان هناك استمرار لهذه الظاهرة ولجوء الأفراد إليها إلى يومنا هذا رغم وجود وعي ثقافي لدى الشرائح الاجتماعية في المجتمع المعسكري إلا أن هناك لجوء بارز ومستمر للزوايا وهذا يدل على تحقق دراستنا ميدانيا . فقوة استمرار الأفراد (الجزئي) إلى الزاوية العليوية باعتبار هذه الأخيرة نموذجا للدراسة عملت على تحفيظ القرآن الكريم والمحافظة على اللغة وهذا يعني إعادة مدرسة الكتاتيب التي كانت موجودة في القديم وإزالة الفوارق الإجماعية وهذا برز في ظاهرة الجمع على وجه الخصوص اعتبار الشيخ قدوة في المجتمع هذا يبين أن هناك تأثير تسيير واضح على الشرائح الاجتماعية داخل المجتمع المعسكري وبالتالي وجود ممارسة التعاليم الصوفية داخل الزاوية كون هذه الأخيرة كمنظومة دينية تربوية بالدرجة الأولى.

. المراجع العربية:

1- أبو زيد فوزي محمد، الصوفية والحياة المعاصرة، دار الإيمان والحياة سنة 1996.

2- أبو القاسم عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية في التصوف، دار الطباعة للنشر، الجزائر، الجزء الأول، سنة 1996.

3- ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، المكتبة المصرية، صيدا بيروت، الطبعة الثانية، سنة 1996.

4- أنجرس موريس، ترجمة صحراوي بوزيد وآخرون، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، دار القصبة للنشر، الجزائر، الطبعة الثانية، سنة 1985.

5- أركون محمد، الفكر الإسلامي، نقد واجتهاد، دار الساقي، الطبعة الأولى، سنة 1992.

6- بيومي محمد أحمد وآخرون،نظرية علم الاجتماع، الاتجاهات الحديثة المعاصرة، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية، سنة 2004.

7- بيومي محمد أحمد، علم الاجتماع الديني ومستدلات العالم الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، سنة 2003.

8- بن تونس رشيد محمد الهاني، نيل المغانم من تاريخ وتقاليد مستغانم، الطبعة العلاوية بمستغانم، سنة 1998.

9- كارادوقو البارون، نقله إلى اللغة العربية زعيتر عادل، الغزالي، المؤسسة العربية، للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، سنة 1984.

10- لويس ماسينيوس، عبد الرزاق مصطفى، ترجمة رشيد إبراهيم محور وزملائه، التصوف، دار الكتاب اللبناني.

11- محمد عبد الرحمن عبد الله، النظرية في علم الاجتماع (النظرية السوسيولوجية المعاصر)، الجزء الثاني، دار المعرفة الجامعة، بيروت.

12- سعد الله أبو قاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، (1500-1830)، دار الفكر الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1998.

13- سعد الله أبو قاسم، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، دار الغرب الإسلامي، الجزء الرابع.

14- عامر النجار، الطرق الصوفية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

15- عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر (نشأتها ونظمها وروادها الرفاعي- الجيلاني- البدوي- الشاذلي- الدسوقي)، دار المعارف، مصر الطبعة الخامسة.

16- عبد الوهاب إبراهيم، أسس البحث الاجتماعي، مكتبة الشرق، القاهرة، سنة 1980.

17- عبد الرشيد زروقة، ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1913-1940)، دار الشهاب، لبنان، الطبعة الأولى، سنة1990.

18- عزام صلاح، ةأقطاب التصوف الثلاث (أحمد البدوي، الرفاعي، القناوي)، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، سنة 1968.

19- قاسم غني، تاريخ التصوف في الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، سنة 1970.

20- رشيد زرواتي، تدريبات على منهجية البحث في العلوم الاجتماعية، دار هومة للطباعة، الطبعة الأولى، سنة 2002.

21- شادية علي قناوي، سوسيولوجيا المشكلات الاجتماعية وأزمة علم الاجتماع المعاصر، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، سنة 2000 سنة.

22- ذوقان عبيدات وآخرون، البحث العلمي (مفهومه – أدواته- أساليبه)، سنة 1998.

المراجع الفرنسية:

1- Ali Alawi, Documents et témoignages par Johan cartigny,édition les Amis de l'isolon, paris 1984.

2- Durkheim Emile (1912-1960), les formes élémentaires de la vie religieuse, presse universitaire de France , 2eme édition quadrige 1990.

3- Thoravaly, dictionnaire de civilisation musulmane, la rousse pour édition original 1983.

القواميس:

1- د.الحنفي عبد المنعم، الموسوعة الصوفية، مكتبة مدبولي، القاهرة، سنة 1424 هـ - 2003م.

2- د.الحنفي عبد المنعم، معجم مصطلحات الصوفية، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية، سنة 1407 هـ - 1987م.

3- عاطف غيث،قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية.

مواقع الانترنت:

1-سعيد جاب الخير، تجذير الخطاب الديني والروحي والاجتماعي (التأثير الصوفي يف الفنون الشعبية الجزائرية) القدس العربي.

www.jadal.org/mew phop.?go= fellneuess 8 newid/.

يوم 10/10/2007

2- عبد المنعم قاسمي الحسني، عن التصوف والصوفية في الجزائر، الشهاب الجزائري. يوم 10/10/2007 ? http// www.almahdy.net/vb/show/hreadphp

الصحائف والجمعيات والمجلات:

1-بن أحمد الكانوني عبد السلام، من تراث الطريقة العلوية، أضاميم المد الساري لصحيفة البلاغ الجزائري، الجزء الأول، الطبعة الأولى سنة 1406 هـ 1986م.

2- جمعية الشيخ العلاوي للتربية والثقافة الصوفية، الزاوية العلاوية، جانفي 2006م.

3- محمد مجاود، دور الزاوية في الحركة الوطنية والثورة التحريرية من منشورات مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، المواقف بالمركز الجامعي مصطفى اسطنبولي معسكر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، سيدي بلعباس، الجزائر، أفريل 2008.

المذكرة:

مذكرة التخرج لنيل الليسانس لأم الخير فراح، الصراع بين الطرق الصوفية والحركة الإصلاحية في الجزائر، معهد التاريخ، المركز الجامعي بمعسكر، سنة 2003- 2004

الملاحق

مدخل الزاوية العلوية

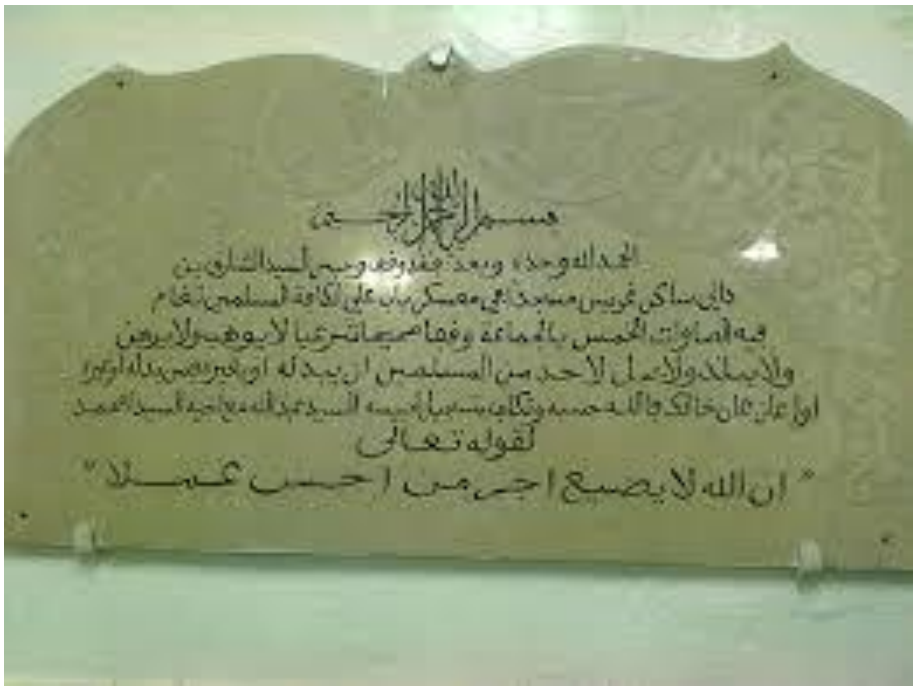

صورة داخل الزاوية

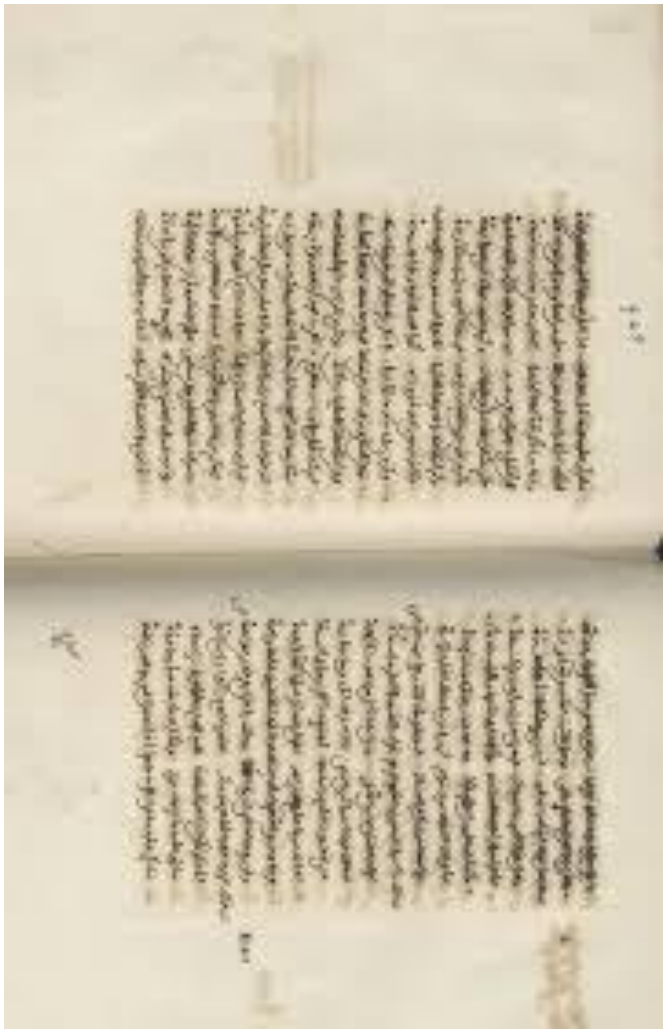

نموذج عن الشعر الصوفي

دليل المقابلة

يتضمن دليل المقلبلة ثلاثة محاور يينثل فيما يلي

معلومات شخصية عن المبحوثين (الجنس – السن–مكان الإقامة–المستوى التعليمي–المهنة)

محاولة معرفة علاقة التصوف بالمريد وكيفية تأثيره (المتصوف) عليه.

البحث في العلاقات داخل الزاوية.

معرفة ما اذا كان هناك تسيير نظامي لتراتبية المريدين داخل الزاوية.

نموذج لكيفية اجراء المقابلة

المبحوث (أ.د 48) الجنس ذكر .مكان الإقامة وسط مدينة معسكر .المستوى التعليمي .جامعي. المهنة موثق .

السلام عليكم . انا طالب علم الاجتناع الانثروبولوجي اتينا لمحاورتكم في اطار بحث تناول فيه دراسة الطرق الصوفية عامة ة الطريقة العلوية نموذجا للدراسة . و لهذا نتمنى ان تكون متجاوبا معنا اذا لم يكن لديك مانع بطبع.

هي مجموعة من الأسئلة سنطرحها عليك في المقابل سيكون اجابتك يحضى بالسرية من دون ذكر اسمك على الاطلاق.

س1 : ما رايك في عالم الصوفية ؟

ج 1: الصوفية من وقت سيدنا ادم فالتصوف لايقصد به الرهبانية المسيحية الان الرهباني ينقطع عن الدنيا اما نحن نعيش الظاهر و الخفي

س 2 : في رايك هل للتصوف تاثير على سلوك الفرد ؟

ج 2 : يوجد سلوكات لان الصوفي يخاطب ضمير الانسان

س 3 : منذ متى و انت منضم الى هذه الزاوية ؟

ج 3 : منذ الطفولة .

س 4 : ما الدافع الذي جعلك تنتمى الى هذه الزاوية ؟

ج 4 : قراءتي لكتاب المنح القدوسية .

س 5 : فيما تتمتل شروط انحراطك في هذه الزاوية ؟

ج 5 : لا يوجد شروط هناك منهاج و هو التنسيق بالشريعة

س 6 :